مسرحية عبثية

/

غرفة 9

منفى الحقيقة

النوع: دراما نفسية – عبث وجودي

"ماذا لو كنت العاقل الوحيد... في عالم قرر أنه مجنون؟"

مسرحية عبثية

غرفة٩

منفى الحقيقة

النوع: دراما نفسية – عبث وجودي

"ماذا لو كنت العاقل الوحيد... في عالم قرر أنه مجنون؟"

تأليف: ريماس محمد صقر اللوانسة

غرفة 9

مسرحية عبثية من فصل واحد

إهداء

إلى العاقل الذي تورّط برفقة المجانين...

ماذا لو استيقظت في مستشفى للأمراض العقلية وكنت العاقل الوحيد؟
حين يصبح المفتاح بيد مجنون، والجنون هو النظام...
هل تكذب لتخرج؟ أم تجن فعلًا لتنجو؟

إلى من يحاول أن يخرج... دون أن يُصاب.

المشهد الأول

(غرفة بيضاء، صامتة، الإضاءة خافتة في الزاوية. شخصية واحدة جالسة على سرير معدني. صوت داخلي يتحدث)

الراوي / البطل:

الجنون... جنون،

سواء كان داخل هذه الجدران البيضاء، أو خارجها في الشوارع النظيفة.

قد يزينه لسانٌ معسول...

وقد يخفيه قميصٌ مكويّ وربطة عنق.

المظهر لا يقول الحقيقة.

ذاك الذي ينكش شعره ويمشي في الطرقات...

قد يكون أصدق من ذاك الذي يبتسم ويصافح...

لكنه يخبئ داخله وحشًا نائمًا.

أخطر المجانين...

هو ذاك الذي يبدو طبيعيًا.

(صمت. يعود الظلام تدريجيًا.)

المشهد الثاني

(ضوء باهت في الغرفة. البطل ما يزال جالسًا في الزاوية.

تُفتح الباب بهدوء. الممرضة تدخل. ابتسامتها جامدة، بلا روح.)

الممرضة (بابتسامة بلاستيكية):

هل تتناول الدوبامين السريع هذا الصباح؟

(يرافقها رجل أعرج، منكوش الشعر، يرتجف ويتكلم بسرعة.)

الرجل الأعرج (يصرخ):

لقد تأخرت! لقد تأخرت!

سيوبخني المدير... سيوبخني!!!

(ينفجر في نوبة بكاء هستيري)

(الممرضة تلتفت إلى البطل، وكأنها تقول شيئًا عاديًا تمامًا.)

الممرضة:

إنه مريض وظيفة.

يعتقد أن العالم كله ساعة توقيت.

(تضحك ضحكة مسجلة... ثم تسحب الرجل من ذراعه، وتغادر معه الغرفة.)

(ضوء خافت يتلاشى، ويبقى البطل وحده.)

المشهد الثالث

(ضوء خافت. البطل ينهض ببطء، يدفع الباب، ويخرج خلف الممرضة والمريض.

يتحوّل الضوء تدريجيًا، كاشفًا ممرًا طويلًا داخل المصحة.

الجدران باهتة، الهواء ثقيل، والوجوه متعبة.)

(البطل يسير وسط الممر، تتعالى حوله أصوات بشرية متداخلة.)

الصوت العام في الخلفية:

- أحدهم يصرخ بعشوائية.

- آخر يبكي بصوت متقطع.

- امرأة تحدّق في الفراغ، شفتيها تتحركان بلا صوت.

- رجل يضحك ثم يصفّر، ثم يبكي فجأة.

(يصطدم البطل بامرأة منهارة، ترتجف.)

المرأة (تصرخ فجأة، مذعورة):

أرجوك! لا... لا تضربني! خذ المال!

(تتراجع، تصرخ وتبتعد راكضة)

خالد! خـالـد!!

(ضحكة غريبة تنبعث من الزاوية.)

البطل (يتلفت، بصوت منخفض):

خالد؟

(المرأة تتوقف، تضحك بصوت ممزق.)

المرأة:

إنه ابني... أليس كذلك؟ خالد؟ خالد!

(صمت مفاجئ يخيم. البطل يثبت مكانه.) ستارة.

المشهد الرابع

(الممر ذاته. البطل واقف مذهول، يتلفت.

فجأة، يمرّ رجل أنيق ببدلة رمادية، يحمل ملفًا.

عيناه لا تلتقيان بأحد.

إنه رئيس المستشفى.)

(البطل يندفع نحوه، يمسك بذراعه برجاء.)

البطل (متوسلًا):

أخرجني... أرجوك، أخرجني من هنا!

أنا لست مجنونًا!

(الرئيس يتوقف. يحدّق بالبطل لحظة... ثم يبتسم ابتسامة فارغة.)

رئيس المستشفى (بهدوء مخيف):

دعك من هذا...

أليس الألم هو الجنون؟

أم أن الجنون هو النجاة؟

(ينظر حوله، يفتح ذراعيه كمن يقدّم عرضًا كبيرًا.)

رئيس المستشفى:

أنت السبب... أنت!

إنها الفوضى، إنه العالم المعكوس!

(يضحك فجأة، بصوتٍ متقطّع وعالٍ.

يرفع يديه عاليًا، كما لو أنه انتصر.)

رئيس المستشفى:

هاه! هاه!

انظروا! لقد فهِمَ أخيرًا!

(ثم ينصرف، دون أن ينظر إلى الخلف.
البطل يبقى واقفًا، يتنفس بسرعة.)

ستارة.

المشهد الخامس

(الممر – بعد رحيل رئيس المستشفى.

البطل يقف وحده وسط ضجيج الأصوات، الوجوه لا تزال تائهة من حوله.)

(فجأة، يضع يديه على أذنيه، يضغط بشدة، يرتجف.)

البطل (يصرخ):

لا! لن أجعل هذا يؤذيني...

لن أُهزم! لن أُهزم!

(يشدّ أكثر على أذنيه، كأنه يحاول منع الكلمات من الدخول.)

البطل:

لن أسمح لجنونك بأن يجعل مني مجنونًا...

أنا أسمعني... لا أسمعكم.

(يندفع فجأة، يركض بسرعة عائدًا من بين المرضى.)

(الضجيج يعلو حوله... لكنه لا يتوقف.

يصل إلى غرفته، يصفق الباب خلفه، يقفله بعنف.)

البطل (يلتقط أنفاسه، يهمس):

سأبقى هنا...

إلى أن أجد حلاً.

(إضاءة خافتة... ثم ظلام.)

ستارة.

المشهد السادس

(غرفة البطل. صمت ثقيل.

فجأة، صوت غريب يتردّد في أرجاء الغرفة، لا يُعرف مصدره.)

الصوت (ساخر، مرح):

ههه... مرحبًا، مرحبًا!

صوتك العالي، ومثاليتك الكاذبة... أزعجتني!

اصمت... اصمت!

هذا ما يليق بك.

(البطل ينتفض، يبحث حوله بقلق.)

البطل:

أيّها الصوت... أين تكون؟

أخرج! واجهني!

(صمت قصير. ثم يتكلم البطل كأنه يخاطب الفراغ بثقة.)

البطل:

أنا هنا... لأنني على حق.

نحن، أمثالي... نُنفى دائمًا.

(يتقدّم خطوة للأمام، نبرة صوته تتصاعد.)

البطل:

هل تعلم أين تجدنا دائمًا؟

في السجون... وفي مستشفيات الأمراض العقلية.

نُرمى بعيدًا... لأننا على حق.

(إضاءة خافتة تهتز، ثم تعود للثبات.)

ستارة.

المشهد السابع

(غرفة البطل. صمت مفاجئ.

يُسمع طرق خفيف على الباب، رقيق كخطى طفل.)

(البطل ينهض بحذر، يفتح الباب ببطء، عيناه تحملان خوف الطفل.)

(تقف طفلة صغيرة، تحمل دمية صغيرة في يديها.

تبتسم ببراءة.)

البطل (مبتسمًا بارتياح):

آه، آه... يا صغيرتي، ماذا تفعلين هنا؟

هل أصابك الجنون أيضًا؟

(الطفلة تنظر إليه ببراءة عميقة.)

الطفلة:

ماما هنا...

وأنا أذهب مع ماما... إلى أي مكان.

(يقف البطل فجأة، يتنهد بمرارة.)

البطل:

لقد تبعتِ الجنون إذن...

سحقًا لهذا العالم غير العادل!

(الضوء يخف تدريجيًا، وصوت دمية صغيرة تصدر صوتًا خافتًا.)

ستارة.

المشهد الثامن

(غرفة البطل. الباب يُغلق خلفه بهدوء، كما لو أنه يحاول حبس العالم الخارجي.

البطل يحمل الطفلة بين ذراعيه برقة وحذر.)

البطل (بصوت مليء بالقلق والحنان):

نامي هنا...

هنا حيث لا يصل الجنون...

حيث لا تلحق بكِ صرخات أمكِ المجنونة...

(يضعها على السرير ويغطيها بلطف.)

البطل (يغني بنعومة، وكأنّه يطمئنها):

إنها تمطر...

إنها تمطر للنّام...

بهدوء... بهدوء...

(ينظر إلى الباب وكأنّه يتوقع عودة الخطر.)

(الضوء يخفت ببطء، وستارة.)

المشهد التاسع

(غرفة البطل. الطفلة نائمة بهدوء على السرير.

فجأة، يُفتح الباب بعنف.)

(تدخل امرأة مضطربة، شعرها منكوش، عيناها زائغتان... إنها والدة الطفلة.

تمسك الطفلة من يدها وتجرّها بقوة.)

أم الطفلة (بصوت مشوّش):

تعالي! لا تلمسي هذا المكان! هو ليس لنا! تعالي الآن!!

(الطفلة لا تقاوم، تسحبها الأم للخارج.

البطل يركض نحو الباب محاولًا منعه من الإغلاق.)

البطل:

لا! انتظري! دعيها! لا تأخذيها!

(وقبل أن يتمكن من غلق الباب، يدخل رجل بدين، بوجه ممتلئ مبتسم ابتسامة زائفة.

صوته ناعم بطريقة مزعجة.)

الرجل البدين (وهو يمنع الباب من الإغلاق):

آه... أنت جديد هنا، أليس كذلك؟

(البطل يتراجع ببطء، ينظر إلى الرجل باستغراب وقلق.)

الرجل البدين (يقترب، بصوت ودود مصطنع):

لا تقلق، كلنا نحاول أن نكون محبوبين هنا...

المهم أن تبتسم دائمًا... وأن تقول ما يحب الناس أن يسمعوه...

هذا هو العقل، أليس كذلك؟

(يضحك ضحكة صغيرة كأنها تمرين اجتماعي... لا مشاعر فيها.)

ستارة.

المشهد العاشر

(الرجل البدين لا يزال مبتسمًا، يقترب بخطى بطيئة.

البطل يقف في مواجهته، صوته هادئ... لكنه مليء بالمعنى.)

البطل (ينظر إليه بثبات):

ماذا يكون العقل؟

أن تكون أنت...

أن تسمح لعقلك أن يفكر...

أن تكون حُرًّا.

(يتقدّم خطوة للأمام، نبرته تتصاعد.)

البطل:

أن تتجرد من عاداتك وتقاليدك...

أن تطرح كل فكرة قيلت لك وأنت لا تفكر...

أن تختار بنفسك الطريق... لا أن تسلك ما رُسم لك!

(لحظة صمت قصيرة. ثم يرفع صوته بثقة.)

البطل:

وإن كان هناك شيء يستحق أن يُسمَع...

فهو الدين.

وليس أي دين...

بل الإسلام.

(الرجل البدين يتراجع قليلًا، ابتسامته تتشوّه للحظة.)

ستارة.

المشهد الحادي عشر

(الرجل البدين يتراجع خطوة إلى الخلف، صامتًا.

عيناه تحدّقان في البطل وكأنه في لحظة "اكتشاف".)

(ثم، بصوت بارد وبنبرة مريبة...)

الرجل البدين:

صحيح... صحيح ما تقول...

(يصمت قليلاً. ملامحه جامدة.

ثم، فجأة، ينفجر ضاحكًا ضحكة طويلة، غير منطقية... تزداد شدّة شيئًا فشيئًا.)

(يستدير، ويتّجه نحو الباب، يخرج وهو يصفّق راحتيه ببعضهما ببطء... كما لو أنه يلقي خطابًا صامتًا لجمهور غير موجود.)

ستارة.

المشهد الثاني عشر

(غرفة البطل. صمت ثقيل.

فجأة، صوت داخلي يصرخ بسخرية خفيفة، كأنه يتسلّى بالبطل.)

الصوت (ضاحكًا):

ههه... حتى هنا، لا تزال تصرخ؟

تعلم أنني لست عدوك، أليس كذلك؟

(البطل يجلس أرضًا، يسند ظهره إلى الباب، عيناه شاردتان.)

البطل (بصوت هادئ):

لا أعلم... حقًا، لا أعلم.

(يصمت لحظة، ثم يتحدث كأنه يخاطب شيئًا بعيدًا، أو يتذكر.)

البطل:

قرأتُ مرة أن كافكا كتب إلى ميلينا:

"أنا لست نقيًا يا ميلينا...

أولئك الذين ينادون بالنقاء، غالبًا ما يعيشون في قاع الجحيم."

أتراه كان صادقًا؟ يا تُرى؟

(لحظة صمت. ثم يأتي الصوت من جديد، بصوت منخفض، غير ساخر هذه المرة.)

الصوت:

أظن أننا في فوضى...

وأن النقاء لا يكون إلا في الدين...

وأيّ شيء بعيد عن الدين... لن يكون نقيًا.

(البطل يغمض عينيه ببطء.)

البطل:

إذًا... الإنسان بلا دين...

يُصيبه الجنون... حقًا.

نعم... حقًا.

(إضاءة خافتة جدًا... ثم تختفي.)

ستارة.

المشهد الثالث عشر

(صراخ مفزع يملأ أروقة المستشفى.

جميع المرضى يصابون بالذعر والهلع، يتخبطون في ممرات المَصحة.)

(البطل يركض نحو مصدر الصوت، لكن بوجهه يظهر أنه بدأ يتأقلم مع هذه الفوضى.)

(يصل إلى مكان انتحار امرأة، معلقة بحبل مشنقة، بينما المرضى من حولها في حالة ذهول وذعر.)

البطل (بصوت هادئ لكنه ثقيل المعنى، وكأنه يتأمل):

الموت...

صدى وقعه في الآذان لا يرحم،

مخيف كصرخةٍ من الأعماق...

(يتوقف، يغمض عينيه للحظة، ثم يفتحها بثقة متزنة.)

لكن، هناك من لا يخاف من الموت...

لا يخاف إلا اثنان:

العاصي...

والتقي.

(صمت قصير، ثم ينظر حوله باتساع وكأن الكلمات تخرج من قلب الهاوية.)

ستارة.

المشهد الخامس عشر

(صراخ وبكاء يعم أرجاء المستشفى.

البطل ينظر حوله بين الوجوه المذعورة، عينيه تتجهان ببطء نحو الطفلة.)

(الطفلة واقفة، حدقات عينيها متسعة، نظرة فيها دهشة وفضول.

كأن البطل زائر جديد في عالمها.)

(البطل يتوقف، يتجنب الاقتراب منها، يظل واقفًا بمسافة.)

(صوت داخلي، عميق وهادئ، يهمس.)

الصوت:

هل هو القدر؟

في لقاء مع الدهشة...

فالقدر فوضوي، يحب الجنون.

(البطل يغمض عينيه للحظة، ثم يفتحها بثبات.)

ستارة.

المشهد السادس عشر

(البطل ينظر إلى جانبه، حيث يقف مدير المستشفى. المدير يبتسم ابتسامة غامضة، وهمس هادئ.)

المدير (بهمس ساخر):

ما معنى الحياة، حين نعيش محاطين بالموت؟

(البطل يلتفت إليه، عيناه صادقتان ومتفكرتان.)

البطل:

الموت ليس في مكان واحد،

ولا يأتي مرة واحدة.

من يظن أن الموت يزورنا مرة واحدة، أظنه سعيد.

(ينظر المدير إلى البطل بضحكة ساخرة.)

المدير:

ههه... حتى المرضى النفسيين يجيدون الكلام.

(ابتسامة المدير تتسع، ثم يغادر المكان بخطوات هادئة.)

ستارة.

المشهد السابع عشر

(البطل يركض خلف المدير في ممر ضيق، صدى خطواتهما يتردد. المدير يمضي ببطء، والبطل يصرخ بنداء أخير.)

البطل:

انتظر!

أنا لست مجنونًا!

(يدخل البطل غرفة الممرضات حيث تجتمع عدة نساء، غارقات في نقاش عميق، غير مدركات لوجوده.)

الممرضة الأولى (بصوت هامس، تعبّر عن ارتباك داخلي):

أحيانًا أشعر أن عقلي ينفلت مني...

أخرج من هنا، أراقب الوجوه،

أبحث عن شيء ما في الضحكات...

ضحكة واحدة، تزرع الشك في أعماقي... حتى تجاه "إي" بريء.

الممرضة الثانية (ببرود ونفاد صبر):

اذهبي، عالجي نفسك...

الشك مسموم، لا يفيدنا.

الممرضة الثالثة (تضحك بسخرية قاتمة):

نحن نلعب دور المهرجين في مسرح الحياة،

حيث كل ابتسامة مزيفة، وكل نظرة مؤجلة،

حياة تمضي ونحن نحترف التمثيل...

على أنقاض الحقيقة.

(تتنهد بحزن عميق، وكأنها تقبل الواقع المرير.)

هذه الحياة، لعبة زائفة لا تستحق الجهد.

(البطل يراقب، صامت، يتحسس ثقله وحيرته.)

ستارة.

المشهد الثامن عشر

(البطل يتقدم بخطوات ثقيلة، متثاقل كأنه يحمل وزن العالم على كتفيه، صوته متقطع، كأن أفكاره تتصارع.)

البطل (بصوت متقطع، يهمس ويصرخ في آن):

قدماي... ثقيلتان...

لا تزعجني... لا... لا تزعجني الظّوْحاء...

اعتدت... اعتدت على كل شيء...

على السقوط، على الصراخ... على الصمت...

ماذا يحدث لي؟

ماذا يحدث للعقل حين يطارد نفسه؟

حين يصبح السجن...

حين يذوب الوعي...

حين يتشظى الصدى...

(صوت داخلي يتداخل مع حديثه، بلهجة باردة وقاطعة.)

الصوت:

أنت لن تخرج.

الاعتاد...

دائرة بلا بداية، بلا نهاية...

المعتاد يلد المعتاد...

ينقل السلسلة...

المجنون...

المعتاد...

القاتل...

(البطل يصرخ فجأة، يحاول كتم الصوت، يهمس بفوضى.)

البطل:

أجن... أكاد أجن...

عقلي يتخبط في ظلاله...

أعيش حياة ليست لي...

أكرهها... أهرب من نفسي...

هل أقبل أن أكون مسجونًا...

هل تراه أحد؟

الطفلة... بريئة... غريبة... ضائعة...

كل مجنون هنا، يجر آخرين إلى الجحيم...

والمرضى... يقتلون الأرواح الحرة...

(الصوت يعود بصوت عميق، وكأنه صدى بارد من الهاوية.)

الصوت:

القدر...

الفوضى...

الاعتاد...

الإنسان...

وحيد في صمته...

يبدع جنونه...

ويحبس نفسه...

(البطل يقف، يلهث، يحدق في الفراغ، صامت... ثم يهمس.)

البطل:

الاعتاد...

أنا... المعتاد.

(تتلاشى الأصوات تدريجيًا، ويخيم الصمت.)

ستارة.

المشهد التاسع عشر

(غرفة البطل – ظلام خافت، البطل نائم على سريره.

يُفتح الباب ببطء، تدخل الممرضة الأنيقة، تلك التي تحمل ابتسامةً بلاستيكية لا تتغيّر.)

الممرضة (بصوت ناعم خالٍ من العاطفة):

استيقظ.

استيقظ الآن... اتبعني.

البطل (يتحرك بتثاقل، بصوت مبحوح):

إلى أين؟

(الممرضة لا تجيب، تلتفت وتمضي، والبطل يتبعها بصمت، يشبه النوم أكثر من اليقظة.

يمر عبر ممر طويل، الجدران فيه تضيق وتضيق... حتى يصل إلى غرفة المدير.)

(في الداخل: رجل يجلس واضعًا ساقًا على ساق، سيجارة مشتعلة في يده، يحدق بازدراء.

إنه الأب. رماد السيجارة يتساقط على الأرض دون أن يهتم.)

المدير (بلهجة رسمية مفرطة في البرود):

اجلس هنا.

(البطل يجلس.

المدير يفتح ملفًا، يسعل، ثم يبدأ بإلقاء الأسئلة بطريقة رتيبة، لكنها تحمل سخرية مبطنة.)

المدير:

السؤال الأول:

هل تحلم؟

وإن حلمت، فهل تؤمن أن الحلم حقيقة أُخرى... أم مجرّد وهم مُقنّع؟

السؤال الثاني:

إذا انفصل رأسك عن جسدك، أيهما يستحق العلاج أولًا؟

العقل الذي يُعذِّبك، أم الجسد الذي يسحبك كل صباح من السرير رغمًا عنك؟

السؤال الثالث:

من تكون حين لا يراك أحد؟

وهل تظن أن أحدًا يراك فعلًا؟

(صمت...

المدير ينظر إلى الأب، يرفع حاجبيه.)

المدير:

هل هذا جيد؟

(الأب ينفث دخان السيجارة دون أن ينظر إليه.)

الأب (بصوت جامد، دون تعبير):

لا يبدو بخير.

اتركوه هنا.

ليكن بين من يشبهونه.

المدير (بابتسامة باردة):

كما تريد.

(الأب ينهض، يعدل سترته، لا ينظر إلى ابنه إطلاقًا.

يتجه نحو الباب، يفتحه ويغادر، كما لو كان يغادر مقهى.)

(البطل يظل جالسًا، نظراته تائهة، بلا مقاومة.)

ستارة.

المشهد العشرون

(البطل يجلس على سريره، وجهه ملؤه خيبة الأمل، عينيه تائهتان في فراغ لا يُرى.

صوت داخلي متردد، يتداخل مع حديثه، في تداخل فوضوي بين الحقيقة والشك.)

الصوت (بهمس متقطع، وكأنه يزحف من أعماق الظلام):

هل الجنون...

هل هو علامات تُرى على الجسد، أو همسات تُسمع في الظلام؟

أم أنّ الجنون...

يكفي أن يكون قرارًا... حكماً يصدره من يحكمون؟

هل الجنون...

حقيقة موضوعية،

أم لعبة مُرسومة على لوحة العقول؟

البطل (يتلوى بين الكلمات، كأنه يبحث عن ذاته في متاهة):

هل كل عاقل معرض لأن يُحكم عليه بالمجنون...

إذا قرر الجميع ذلك؟

هل يصبح الجنون مَن لا يرضخ...

مَن لا ينصاع...

مَن يشكك...

مَن يرفض القيد؟

هل هو مجرد عنوان يُلصق بنا

كي نُبعد عن نظرهم...

كي يُسكت صوتنا؟

الصوت (يتعالى بحدة، يهمس ويتصاعد، كأنه صدى لعقل ممزق):

هل أنت أنت؟

هل أنتَ ذلك الصوت الذي يصرخ في داخلك؟

أم أنت ذاك الصدى الذي لا يُسمع سوى في الظلام؟

هل أنتَ نفسك، أم ظلٌ يبحث عن شكل؟

البطل (يرتجف، يُقبّل الهواء وكأنه يحاول القبض على شيء مفقود):

أنا...

من أكون؟

أنا...

قد أكون من يختار أن يكون...

قد أكون من يرفض الاسم،

يرفض القيد،

يرفض الوظيفة،

يرفض الصورة المرسومة عليه...

هل أستطيع أن أكون أنا؟

أن أنتمي لذاتي،

أن أتحرك في الفوضى...

أتحرك بين الأطلال

حتى أجد هويتي الحقيقية...

لا ذاك القناع الذي فرضه عليّ العالم...

هل لي أن أكون حراً...

حتى لو كان الحرمان...

من كل شيء؟

حتى لو كان اللامكان...

في اللازمان؟

أنا...

أنا...

أنا...

(صمت ثقيل، ثم همس متلاشي)

أنا...

كائن يتشكّل...

كائن يُعيد تشكيل نفسه

في كل لحظة...

في كل شهيق...

في كل نبضة...

ستارة.

المشهد الحادي والعشرون

(غرفة البطل في المستشفى، أضواء خافتة، وصوت أنين بعيد. البطل يرقد على سريره، عينيه مغلقتان. فجأة، تتلاشى الظلال حوله، ويتشكل نور خافت في الغرفة، تظهر فيه صورة الأم كأنها نور يتسلل من بين الجدران البيضاء المتشققة.)

الأم (صوتها يملأ الغرفة بهدوء ونور، كأنها تأتي من عالم آخر):

في هذا المكان، حيث الظلال تحاصرنا،

حيث الضرورة تخنق أنفاسنا،

عليك أن تملأ قلبك بنور الإيمان.

(تتحرك حوله بهدوء، كأنها تمسح عنه غبار الظلام.)

لا تسمح لهذا المكان أن يسرق منك ذاتك،

انقح نفسك من الانحلال الذي يلف حولنا،

بحكمة الشريعة،

بغوص في أعماقها،

فهي المنهج والدستور الذي لا ينكسر.

(تبتسم ابتسامة حانية، تلمع في عينيها الأمل رغم المحيط الرمادي.)

الإيمان هو الضوء الذي ينير طريقك،

حتى وسط هذا السجن الأبيض،

هذا القيد الذي يحاول أن يكسر عزيمتك.

البطل (عينيه تفتحان ببطء، يهمس بنبرة خافتة):

هل أجد في هذا الإيمان... مهربًا؟

هل أجد في نورك مخرجًا من هذا السجن؟

الأم (بصوت خافت ولكنه ثابت):

نعم، يا بني،

الإيمان هو مفتاحك،

هو قوتك،

هو صمودك في وجه الفوضى.

(يتلاشى نورها تدريجيًا مع صوت أنين المستشفى، وتعود الغرفة إلى هدوئها البارد.)

ستارة.

المشهد الثاني والعشرون

(البطل يستيقظ فجأة، عيونه تلتقط الضوء ببطء، يشعر بالعطش، يمد يده نحو الممرضة التي تقف بجانبه. يلاحظ السوار الذي ترتديه، ويتوقف فجأة.)

البطل (بصوت متردد، يهمس وكأنه يحاول استيعاب مشهد ما):

الماء... من فضلك...

(ينظر إلى معصمها، يلمح السوار الذي يشبه ذلك الذي رأى على معصم ممرضة أخرى.)

لماذا ترتدين نفس السوار؟

الممرضة (تبتسم بابتسامة غامضة، هادئة كأنها تعيش في عالمها الخاص):

أوه، تلك؟

إنها أختي...

أختي التي...

(تتوقف قليلاً، كأنها تتكلم عن شيء كبير وثقيل.)

تدعمني هنا، في هذا المكان الكئيب،

تساندني...

بين الجدران البيضاء التي تلتهم أحلامنا،

حيث الضياع له وجه واحد،

ولكننا...

نجد في بعضنا بصيص أمل صغير...

حلمي كان أن أعمل هنا،

لكنها لم ترغب أن أكون وحيدة في هذا السجن...

فقررت أن تكون مثلي،

تشاركني عزلتي،

تشاركني جنوني...

البطل (ينظر بعيدًا، صوته يصبح أكثر ثقلاً، وعينيه تغوص في بحر من الأسئلة والآلام):

نعم...

قد يحدث هذا كثيرًا...

الضياع...

لا يمسك بيد واحدة،

ولا يكتفي بأن يكون وحيدًا...

لا،

هو دفق متشابك من الأرواح...

كل منا يشبك يده بيد الآخر...

لأننا نملك...

كثيرًا من الأحبة...

الأحبة الذين نزورهم في ظلال ذواتنا...

في زوايا عقلنا المهترئ...

حيث لا تكفي الكلمات،

ولا تفي الصرخات...

(يصمت، تنقطع الكلمات بين أنفاسه الثقيلة وصدى الأفكار المتلاحقة.)

الممرضة (بهدوء متردد، تقترب منه كأنها تحاول لمس جرحٍ لا يراه أحد):

في هذا المكان،

نحن متاهة من أوجاعنا،

لكننا...

أحيانًا...

نكون لبعضنا طريقًا للخروج،

نورًا وسط الظلام...

وحتى لو كان ضوءً ضعيفًا...

فهو كافٍ...

(ينظر البطل إليها، عيونهم تلتقي في صمتٍ طويل، مشحون بكل شيء لم يُقال.)

ستارة.

المشهد الثالث والعشرون

(الساحة الخضراء داخل المستشفى – هواء خفيف، طيور تلتف في دائرة رمادية فوق الجدران العالية.

البطل واقف، وحده، يستنشق الهواء كمن يبتلع آخر ما تبقى من الحياة.)

(صوت عجلات سيارة فاخرة يشقّ السكون... سيارة "روز رايز" سوداء، تلمع بجنون في محيط باهت.

تتوقف أمام النافورة التي لا تعمل.

يترجل منها رجل في أواسط العمر، بهندامٍ أنيق، ظهره مستقيم، لكن في عينيه شيء هش... شيء مكسور تحت طبقة من الغطرسة.

يمشي بخطى ثابتة، كأن الأرض مدينةٌ له.)

(يلتقي بممرضة كانت بانتظاره... وقفت بانضباط، وابتسامة مصطنعة.)

الرئيس (بصوت خفيض، لكنه حاد كالموس):

عندما تكون مريضًا نفسيًا...

لن يهتم أحد لما تسمعه.

فأنت، رسميًا، لا تقول...

وإن قلت، لا يصدقك أحد.

(يقترب منها، يهمس وكأن الجدران تتنصّت):

هل تأكدتِ من أنه يتناول أدويته؟

احرصي على أن لا يخرج من بين يديه أي شيء...

معلومة واحدة قد تدمّرنا.

حقيقة واحدة... كفيلة أن تمحو الوهم الذي تعبنا في رسمه.

الممرضة (بابتسامة خاضعة، مطأطئة الرأس):

كل شيء تحت السيطرة، سيدي.

عيونه غارقة في الضباب، وصوته يضيع قبل أن يصل لأي أذن.

الرئيس (ببرود ناعم):

هذا جيد...

ستصلك مكافأتك.

(تنحني الممرضة قليلًا، كأن الشكر عبء آخر تُضيفه لظهرها.)

الممرضة:

شكرًا... شكرًا سيدي.

(الرئيس يمضي مبتعدًا، يفتح باب المستشفى وكأنّه يفتح صندوقًا سريًا،

يلتفت للحظة إلى السماء ثم يضحك ضحكة قصيرة، تشبه العطس، ويختفي.)

(البطل يراقب من بعيد، بلا أن يرمش...

وفي داخله، شيء ما بدأ بالاشتعال.)

ستارة.

المشهد الرابع والعشرون

(البطل يجلس وحده، في ظل شجرة ميتة الأوراق، داخل الساحة الصغيرة للمستشفى.

هواء خفيف يمر، لا يحمل رائحة، لا يحمل بشرى...

عيناه مفتوحتان لكنهما تنظران إلى الداخل.)

البطل (يتكلم لنفسه، بصوت منخفض كأنه يتحدث إلى شق في قلبه):

أنا لا أعيش داخل مستشفى...

أنا أعيش في هذا العالم نفسه،

هذا المبنى لا يختلف عن ذاك الشارع،

وتلك الوجوه... هي نفس الوجوه.

(يتنهد ببطء، كأن في صدره ثقل الكون.)

الداخل والخارج واحد...

الفرق فقط؟

أن هنا الستارة مسدلة،

والكواليس ظاهرة...

كل شيء مكشوف،

قبيح، بشع، بلا مكياج...

لكن ما يحدث هناك...

هو نفسه هنا،

مُجرّد من التصنّع.

(ينظر إلى السماء الرمادية فوقه، ولا يرى شيئًا.)

الحق منفيّ.

والحقيقة تُلفظ كاللعنة...

لا أحد يريدها،

لأنها تُضيء ما يفضّلون دفنه.

(يصمت، ثم يبتسم ابتسامة جافة لا تصل إلى عينيه.)

إنهم يفضلونك منافقًا...

كاذبًا...

فاسدًا بذكاء...

مبتسمًا بأخلاقٍ مستعارة،

على أن تكون صادقًا... فوضويًا... نقيًا بألمك.

(ينهض قليلًا، يستند إلى الشجرة.)

السجون قذرة لأنها مظلمة،

والمستشفيات مثلها،

ملجأ لا للشفاء... بل للخلل،

لمن قرر أن يقول الحقيقة ولم تُعجبهم نبرته.

(يهمس، كأنه ينقل رسالة مشفرة من عقل مسجون إلى كل من في الخارج.)

هذا العالم لا يحترم الحقيقة.

ولا يحتمل الحق.

كما قال جيفارا:

"قل الحقيقة، وانظر كيف سيكرهك الجميع."

(ينظر حوله، لا ينتظر جوابًا، يعود للجلوس، يغمض عينيه وكأنه تعب حتى من التفكير.)

ستارة.

المشهد الخامس والعشرون

(الساحة الخضراء. صمت غريب. لا حركة سوى نسيمٍ يمر كأنه يهمس بأسرار قديمة.

البطل يرفع نظره، يلمح في الزاوية القصوى شابًا في العشرين من عمره، منحنيًا على نفسه كأنه يحضن فكرة لا أحد يفهمها.)

(يمشي البطل نحوه، خطواته بطيئة، كأنه يقترب من شيء يعرفه ولا يعرفه.)

البطل (بصوت هادئ، كأنه يحاول أن لا يوقظ شيئًا):

مرحبًا...

ما اسمك؟ من أنت؟

(يحاول أن يبتسم، أن يكون ودودًا، أن يُخرج الإنسان من خلف الحطام.)

الشاب (يرفع عينيه، نظراته ساكنة... حادة بلا حدة):

ماذا تريد؟

ابتعد عني...

لقد سئمتُ منكم،

منكم أنتم المجانين...

البطل (يضحك بخفة، كأن الألم أصبح ساخرًا):

أوه... أوه...

كلما بدأتُ أؤمن أن هذا المكان ملجأ المجانين،

يخرج لي مَن يشكّكني.

هل أنت عاقل؟

الشاب (ينظر إليه دون رمشة):

وما العقل؟

هل هو الصوت العالي؟

الورقة الرسمية؟

أم هو فقط... أن تصمت في الوقت الذي يُتوقّع منك أن تصرخ؟

البطل (يتنهد):

لا أعلم...

لكن الصمت مؤلم،

والسكون يشبه الانهزام...

وتقبل الهزيمة يكسر شيئًا في داخلك.

الشاب (بنبرة ثابتة كأنها حُكم قديم):

اصمت، إذًا.

اصمت لتسمع.

اصمت لتفهم كيف يضحك عليك العالم،

ثم اضحك عليه بدورك.

اصمت لترى الحقيقة...

وإن رأيتها، لا تتكلم.

لأن هذا العالم...

لا يحب من يرى.

البطل (يهمس):

لكنه ظالم...

وأنا... أحببت الحقيقة،

وأنت أيضًا، أليس كذلك؟

الشاب (ينظر إليه طويلًا، ثم يهمس):

نعم... ولهذا نحن هنا.

(صمت.

ثم صوت خارجي بعيد – ضحكات، بكاء، أبواب تُغلق.

الضوء ينخفض ببطء...

يبقى البطل واقفًا، ينظر إلى الشاب، ثم إلى السماء...

ولا يقول شيئًا.)

ستارة.